الأسس التربوية لحصول الملكة اللغوية لدى المتعلمين

The educational bases of the linguistic proficiency access for learners

أ.د سعيد حمودي . كلية الآداب واللغات . جامعة **محمد بوضياف المسيلة – الجزائر**

المرسل said.hamoudi@univ-msila.dz

الارسال: 2019/11/15 القبول:2020/01/21 النشر 10مارس 2020

E . ISSN : 506-2602X - ISSN : 2335 - 1969

صفحات البحث من : 156 إلى 169

الملخص

لقد أكدت التطورات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر في شتى المجالات المعرفية أن تقدم المجتمعات أصبح اليوم مرهونا بنوعية مناهجها التعليمية المتطورة، وتطوير مختلف الأداءات البيداغوجية والتخلص من التبعية المقيتة .وتسعى العملية التعليمية المعاصرة إلى تكوين الفرد تكوينا عقليا واعيا ذلك عن طريق إكسابه جملة من المهارات في مجالات متعددة تجعله قادرا على التطور والاستمرار والمواجهة.

اكتساب اللغة هو إحدى هذه المهارات بل أهمها جميعا لأنها تستعمل في نطاق واسع، ويتم اكتسابها عن طريق المشافهة والتدريب المستمر واللذين بهما ترسخ الملكة وتجود كما يرى ابن خلدون.

الكلمات المفتاحية: الملكة اللغوية، الأسس التربوية، العملية التعليمية.

Abstract

The rapid developments in the contemporary world in various fields of knowledge have confirmed that the progress of societies is now dependent on the quality of their advanced educational curricula, the development of various pedagogic performances and the elimination of abhorrent subordination. The contemporary educational process seeks to create the individual conscious mental formation by providing him with a range of skills in a variety of fields that make him capable of development, continuity and confrontation. The acquisition of language is one of these skills, but the most important of them all because it is widely used, and is acquired through the oral interaction and continuous training, which are proficiently established and the success of every productive act as Ibn Khaldun believes.

Key-words :linguistic proficiency, educational bases, educational process**.**

إشكالية البحث

قبل الدخول في صلب الموضوع يتعين أن نبين إشكالية الحديث في ترسيخ المهارة اللغوية، وطرائق تثبيتها في القدرات العقلية لدى المتعلمين. يعالج هذا البحث الإشكالية الآتية:

- هل تساير المنظومة التربوية الحاليى الركب الحضاري في المجال المعرفي؟

- كيف يتمكن المتعلمون من اكتساب الملكة اللغوية؟
- هل يمكننا في مجال الحقل التربوي أن نتخلص من التبعية القائمة على التلقين وحده، الذي وسم عملية التعليم بالجمود، والمتعلم بالتقوقع والركود؟
- ما هي أحدث الطرائق الناجحة في تعزيز القدرات، وترسيخ الملكات وإثبات الذات، أثناء عملية التعلم؟
- هل يدرك المرسل أقطاب العملية التعلمية، ويحسن استغلالها واستثمارها؟

كل هذا نحاول الإجابة عليه في هذا البحث

مقدمـــة

تسعى العملية التعليمية المعاصرة إلى تكوين الفرد تكوينا عقليا واعيا ذلك عن طريق إكسابه جملة من المهارات في مجالات متعددة تجعله قادرا على التطور والاستمرار والمواجهة.

واكتساب اللغة هو إحدى هذه المهارات بل أهمها جميعا لأنها تستعمل في نطاق واسع، ويتم اكتسابها عن طريق المشافهة والتدريب المستمر واللذين بهما ترسخ الملكة وتجود كما يرى ابن خلدون.[1]

لقد أكدت التطورات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر في شتى المجالات المعرفية أن تقدم المجتمعات أصبح اليوم مرهونا بنوعية مناهجها التعليمية المتطورة وتطوير مختلف الأداءات البيداغوجية والتخلص من التبعية المقيتة، فلم تعد الفلسفة البيداغوجية القائمة على التلقين للمتعلم كافية لمواجهة العالم الخارجي كما أنها غير مجدية لحل المشكلات التي تحيط بالفرد المتعلم، ولقد ساهمت إلى حد كبير في وسم العملية التعليمية بالجمود والتقوقع في بوتقة الركود ومن ثم اقصاء مهارات المتعلم، فلم تعد المؤسسة التربوية اليوم مرتعا لتلقين المعلومات وتخزينها وشحن المتعلم لاستظهارها يوم الامتحانات، ومن هنا ولمعالجة هذا الإشكال ظهرت ثورة بيداغوجية ارتقت بالعملية التعليمية من التصور السلوكي النمطي الذي كان يهدف الى إكساب المتعلم سلوكات وعادات عبر التكرار وتعزيز الشرط إلى تنمية قدراته ومهاراته، لا لينجح في الاختبارات الفصلية بل لأن يكون فاعلا ومنتجا في الحياة العملية، قادرا على حل المشكلات التي تواجهه بفعل المداومة على البحث، من خلال القراءة الواعية والنفعية المبنية على العلم الصحيح واستثماره في حياته اليومية، لأن الفعل القراءاتي رافد من الروافد الأساسية لترسيخ الأفق الثقافي والتكويني للمتعلمين فهي عملية معرفية عقلية تسمح بفك الرموز المكتوبة وفهم دلالاتها[2] كما أنها مهارة أساسية يتأتى بها امتلاك ناصية اللغة وتطويعها، وهذا مرهون بكيفية ممارسة المتعلمين لها، فالقارئ الجيد ليس من لا تتعثر

قراءته وفهمه بل من أحسن استغلال واستثمار ما يقرأ في تنمية قدراته الاستيعابية... من الإشكالات المطروحة في المجال التربوي: كيف يتمكن المتعلمون من اكتساب الملكة اللغوية؟

هذا يتطلب من المرسِل معلّم اللغة استخدام الطريقة المستعملة في العملية التعليمية ليتم من خلالها التبليغ والتواصل بين المرسِل والمتلقي، وهي قابلة للتطور والارتقاء، إذن يحتاج هذا الأمر إلى طريقة ناجحة يستثمرها المعلم في تدريسه[3] وإلى تقنيات وأشكال تنظم مواقف التعلم التي يخضع لها المتعلم من حيث تنمية القدرات العقلية وتعزيز الوجدان وتوجيه الروابط الاجتماعية، دون إغفال الجانب الحسّي الحركي للفرد المتعلم[4]، ولا يتم نجاح العملية التعليمية المتعلقة بهدف ترسيخ المهارات لدى المتعلمين إلا على ضوء نظرية تابعة لفرع من فروع علم النفس المعرفي cognitive psychologie والذي هو علم معاصر يبحث بطرائق حديثة تربوية في كيفية امتلاك الذهن البشري للمعرفة وكيفية تطويرها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكتساب وفي كيفية احتفاظ الذاكرة بالمعلومات واستعمالها عند الحاجة، وفي مواقف متباينة إلى غير ذلك من المباحث الذهنية بالتنسيق مع تعليمية اللغات[5].

فاللغة نظام من الأنساق المتعاضدة تحكمه علاقات متنوعة ومتشابكة، يظهر هذا النظام في سلاسل كلامية هي الجمل والتراكيب، فلا يكفي أن يعرف المتعلمون مجموعة من الحقائق اللغوية والقواعد والقوانين النحوية ليصبحوا قادرين على استخدام اللغة، ومتحكمين في طرائق أدائها عن طريق التلقين وتخزين المعرفة بحفظ قواعد النظام اللغوي التي تحكمها قوانين النحو والبلاغة، فالنحو في كل لغة هو النظام الذي يحكم العلاقات الرابطة بين الألفاظ لإنشاء التراكيب والجمل، وهذا النظام النحوي ما هو إلا جزء من عقلية الأمة يظهر في طريقة كلامها وكيفية استعمالها للغتها، وما هو إلا طاقات تعبيرية محفوظة في استعمال اللغة منذ قرون خلت، وما يظهر من صعوبات في مجال تعلم النحو يرجع في الأساس إلى البعد الفكري لأبنائنا المتعلمين عن طبيعة اللغة في حد ذاتها، فلا يمكن أن نتعلم النحو بمعزل عن استعمال اللغة، ذلك أن المهارات اللغوية على نوعين: مهارات إرسال، ومهارات استقبال، وتتجلى مهارات الإرسال في المشافهة والكتابة كما تتمثل مهارات الاستقبال في الاستماع والقراءة، وكل ذلك يتم ضمن سلاسل نطقية تحمل مضامين وأفكارا يريد المتكلم إرسالها إلى المخاطَب، فالمرسِل مجبر على احتذاء نماذج كلامية مكتسبة عن طريق المران والممارسة وهذا ما أشار إليه ابن خلدون يقول: « اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق

الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم تكرر فتكون حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة. »[6] هكذا :

فعل ← صفة ← حال ← ملكة (صفة راسخة)

وهنا يشير ابن خلدون إلى أن حصول الملكة اللغوية (الصفة الراسخة) التي تؤهل المتعلم للتحكم الجيد في استعمال اللغة هو نتاج مراحل متتابعة ومتتالية، فاللغة لا تقتصر على الألفاظ فحسب بل تتعداها إلى التراكيب أيضا، لأنها تسمح لنا باشتقاق ما لا حصر له من التراكيب والجمل التي لم نكن قد سمعناها من قبل، وتخضع عملية الاشتقاق في كل لغة إلى طبيعة العلاقة التي تربط الألفاظ بعضها ببعض، وما تتميز به تلك العلاقة من مميزات نابعة من الأسس الفكرية التي تتحكم في الصياغة اللغوية لدى أبناء المجتمع اللغوي، وفكرة التعليق هي التي يقوم عليها النحو في اللغة العربية وسائر اللغات ومن هنا فإن الدراسات اللسانية الحديثة تسمي النحو:(علم التراكيب).[7]

وإن ما يجري في أنساق الكلام من العبارات والتراكيب يخضع لقواعد عامة لا تتناقض بين أجزائها، ذلك هو النظام النحوي الذي يحكم التراكيب اللغوية والذي هو تعبير عن بنى دلالية لا يمكن الوصول إليها إذا فسد هذا النظام المعبر عنها لفكرة التعليق القائمة في ذهن المتكلم، وهذا ما أشار إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي: « إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله... » وقد شبه ذلك النظام الذي يحكمه التعليق المتمثل في النظام النحوي بدار محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام قائلا:« ذلك مثل رجل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام الواضحة والحجج اللائحة فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إن فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا سنحت له وخطرت بباله...»[8]

وقد تناول عبد القاهر الجرجاني في مؤلفه دلائل الإعجاز هذا التكامل في بناء هذا النظام الذي تحكمه قوانين نحوية اجتماعية تتضمن هذه المفاهيم المصطلح عليها بهذه المصطلحات: النظم، البناء، الترتيب، التعليق.

1- النظم: هي المعاني القائمة في الذهن وترتيبها وفق إعمال العقل فيها وذلك قائم على أساس تصور شامل لجملة من العلاقات النحوية المعروفة فمعلوم عنده " أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض."[9] لأن عمل العقل يقتضي التنظيم والانسجام ولا يقبل فكرة جديدة إلا إذا وجد لها رابطا وانسجاما لفكرة سابقة تجانسها.[10]

2- البناء: يتضمن ألفاظ اللغة عامة وما يصيبها من تغيرات حيت تؤلف وتنظم في كلام مفيد يرسل ضمن قناة إلى المخاطب من أجل إيصال مضمون معين، وهذا الذي أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها من بعض وتجعل هذه لسبب من تلك."[11] كأن نبني لمعنى الفاعلية اسما مرفوعا، أو ضميرا منفصلا في موضع آخر، وضميرا مستترا في موقع ثالث، فالبناء كما يراه تمام حسان هو اختيار المباني التي يقدمها الصرف للتعبير عن المعاني النحوية.[12]

وبوضع النظم بإزاء فكرة البناء يكون عبد القاهر الجرجاني قد عبر عن الارتباط بين المبنى والمعنى أي قدرة المتكلم على الإفادة إزاء صياغة وفق قانون يمرن الناطقين بين وحدات صوتية من أفعال وأسماء وحروف تعبر عن أفكار ومعان، فالبناء اللغوي مربوط أساسا بالمعاني المعبر عنها من الناحية الفكرية.

3- الترتيب: ورد هذا المصطلح عند الجرجاني في مواضع شتى في كتابه دلائل الإعجاز، من ذلك قوله: "وهذا الحكم - أعني الاختصاص في ترتيب الألفاظ - يقع في الألفاظ مرتباً على المعاني المرتبة في النفس والمنتظمة فيها على قضية العقل، ولن يتصور في الألفاظ وجود تقديم وتأخير وتخصيص في ترتيب وتنزيل، وعلى ذلك وضعت المراتب والمنازل في الجمل المركبة وأقسام الكلام المدونة، فالترتيب يكون في المعاني لأنها مناط اهتمام المتكلم وهي المقصودة من الكلام، أما الألفاظ فهي تابعة للمعاني ولباس لها يخرجها المرسل إلى حيز الوجود، ومن هنا ما نلاحظه من تقديم وتأخير أو حذف في عناصر الألفاظ والجمل، فمرده إلى قصد المتكلم بغية مطابقة ذلك الإرسال حسب ما يقتضيه سياق الحال والمقام."[13]

4- التعليق: من الأسس الهامة التي بنى عبد القاهر الجرجاني عليها نظرية النظم حيث يرى تلك القرائن اللفظية والمعنوية التي بها يتم الترتيب في المعاني والألفاظ، فمرد ذلك إلى أمور معنوية تتصل أساسا بالفكر، يظهر هذا من خلال التركيب اللغوي وتتابع الألفاظ والتراكيب في سياق عام يجمع بينها وفق خط أفقي، ألا ترى أن النابغة الذبياني أعاب على حسان بن ثابت حين أنشده قوله:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

أنت شاعر لكنك أقللت من جفانك وسيوفك، فعاب عليه استعمال جمع القلة وهو يقصد الافتخار وسياق الحال يقتضي الكثرة والمبالغة وهما من سمات المدح وأغراضه، فإحداث العلاقات بين الجفنات واللمع وبين الأسياف والقطر بحيث أسند اللمع إلى الجفنات والقطر إلى الأسياف، وإن

كان مقبولا في عرف اللغة إلا أن المقام يقتضي المبالغة والكثرة، هذا يناسب تعليق اللمع بالجفان والقطر بالسيوف وليس كما أوردهما الشاعر بتعليق الصفة بجمع القلة، فالجفان والسيوف أنسب في المطابقة في التركيب وتعليق التابع بالمتبوع أو الصفة بالموصوف، فطبيعة اللغة بميزاتها النطقية والتركيبية والدلالية تفرض نفسها على الناطقين بها في تسلسل أنساق متكاملة ومترابطة آخذة بجلابيب بعضها البعض.

وعبد القاهر الجرجاني من اللغويين والنقاد الذين تفطنوا إلى مفهوم (التعليق) وأهميته في التراكيب اللغوية وتحديد الوظائف الدلالية والنحوية للألفاظ داخل هذه التراكيب، للوصول من خلال ذلك إلى تذوق جماليات النص اللغوي وبلاغته، الذي يقدَّم للقارئ المتعلم في طبق شهي يقبل عليه بشراهة وتعْلَق أفكاره في ذهنه إلى حين.

ومن هذا فإن عبد القاهر الجرجاني في منهجه التحليلي يجمع بين البلاغة واللغة والنحو، أي ينظر إلى الكلام العربي (النص اللغوي) عبر هذه المستويات الثلاثة السابقة، وهو منهج جدير بأن نتخذه أساسا في تعليمية اللغة العربية في منظومتنا التربوية، لأنه ينطلق من تحديد العلاقات التي تربط بين الألفاظ للوصول إلى وظائفها النحوية، وما لها من أثر جمالي تذوقي في تصوير الفكرة وتوصيلها إلى المخاطب، ذلك من الأسس التي تمكن المتعلم من ترسيخ وتنمية الملكة اللغوية، فإذا استطعنا أن نتوصل بأبنائنا المتعلمين إلى إدراك تلك العلاقات الرابطة بين الألفاظ، نكون قد مكناهم من معرفة مميزات ألفاظ اللغة وطبائعها الدلالية وكيفيات الربط بينهما، ومعلوم أن اللفظة في أية لغة تأخذ معناها بالوضع والاصطلاح، ثم تأخذ معنى آخر عن طريق العدول أو الاستعمال المجازي، ومن هنا تنشأ حاسّة التذوق اللغوي عند المتعلم والتي بها تحصل الملكة اللغوية لدى المتعلمين. فالمضمون لا تكتمل أجزاؤه إلا باستعمال العلاقات بين الألفاظ، وتفسير مفهوم الإفادة الذي اشترطه النحاة العرب في الجملة دليل إدراكهم العلاقة بين الفكر واللغة وليس على أساس الشكل السطحي للكلام، يقول عبد القاهر:" وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق."[14] ، يؤكد الجرجاني على أن المعاني قائمة في الذهن الذي يعمل على ترتيبها ثم يأتي النطق لهذا التركيب خادما له، ومن هنا يتمكن المتعلم من امتلاك آلية المشافهة والتخاطب مع الغير وإدراك العلاقة بين ألفاظ اللغة والفكر في عملية التواصل والتبليغ.

الأسس الإجرائية في عملية ترسيخ الملكة اللغوية

العملية التعليمية تعتمد على جملة من العناصر قصد ترسيخ المبادئ والأفكار وبناء المعارف وتحقيق الأهداف المنشودة في بناء الخطاب التواصلي بين ملقٍ ومتلقٍّ (معلِّم ومتعلم)، وأول هذه العناصر في عملية التعلم الناجح:

1- امتلاك المرسل الكفاية التواصلية: وهي قدرته على حسن التصرف في التخاطب أي تكييف الخطاب حسب ما يقتضيه المقام والحال، والتمكن من قواعد اللغة والسيطرة على المعاني ووضوح الخطاب[15] واستحضار المعاني في الذهن، يقول صاحب الصناعتين في هذا: " إذا أردت أن تصنع كلاما فأحضر معانيه في ذهنك، وتوقى له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك ليقترب عليك تناولها، ولا يتعبك تطلبها، واعمله ما دمت في شباب نشاطك، فإن غشيك الفتور وتخونك الملال فأمسك... فإن الكثير مع الملال قليل، والنفيس مع الضجر خسيس، والخواطر كالينابيع يسقى منها شيء بعد شيء ... فتجد حاجتك من الري وتنال إربك من المنفعة... فإذا أكثرت عليها نضب ماؤها وقل عنك غناؤها."[16]

فلصناعة الخطاب ينبغي على المرسل المخاطب استحضار الألفاظ المناسبة للمعاني في الذهن ومناسبتها للحال والمقام الذي تقال فيه، أي النظر إلى مقام المخاطَب وسياق الحال واختيار المناسبات والظروف التي يقال فيها الخطاب ويتم التواصل، إضافة إلى ذلك ينبغي أن يمتلك مهارة تعلم اللغة أي الكفاية اللغوية بأن يعرف النظام الذي يحكم اللغة (النحوي، الصرفي، الصوتي، الدلالي، المعجمي) واع بتطبيقه تطبيقا عفويا، فلا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلم لسانا طبيعيا دارسا لأوجه دلالات ألفاظه وأساليبه في التعبير والتبليغ، وأن يعرف أقدار المعاني فيوازي بينها وبين أقدار المستمعين وأقدار أحوالهم وما يجب لكل مقام من مقال.[17]

2- المتلقي: هو المستقبل(المتعلم): يعد المتلقي قطب الرحى في العملية التعليمية وهو من ينشأ له الخطاب ومن أجله، وهو مشارك في إنتاجه مشاركة فعالة فالخطاب منه وإليه، إذ لا بد أن ينطوي على مهارة لغوية حتى يفهم لغة المرسل، قادرا على التحليل والتركيب، ولأن يمتلك مهارة الاستماع الجيد، جاء في كتاب الصناعتين: " المخاطَب إذا لم يحسن الاستماع لم يقف على المعنى المؤدي إليه الخطاب."[18]لأن الاستماع مهارة من مهارات التعلم، فالاستماع الجيد من عوامل نجاح العملية التواصلية.

3- الخطاب: هو المحتوى الفكري المعرفي، بحيث يبنى الخطاب ويستكمل عناصره حسب المقام الذي يكون فيه المرسِل ونوعية المستقبِل لهذا الخطاب، ومن ثمة يتحدد الخطاب مطابقا للحال التي يستخدم فيها بين المتكلم والسامع خاليا من الأخطاء بعيدا عن الغلو والحشو والمقدمات الطويلة.

4- القناة: إنها الوسيلة التي تنقل الخطاب أثناء عملية التواصل، ولأجل تواصل سليم يشترط فيها انسجام شكلها مع مضمون الخطاب، قدرتها على إيصال المحتوى سليما، مناسبتها لمستوى المتعلمين العقلي، لأن الفهم والإدراك لا يتحققان إذا كانت اللغة التي تستعملها قناة التواصل أعلى مستوى من قدرة المستقبِل العقلية على التلقي، كما أنه يستهين بها إذا شعر أنها أدنى من مستواه العقلي، ومن أهم الوسائل المستخدمة كقنوات تواصلية الوسائل المكتوبة، ووسائل شفوية مباشرة كالوسائل السمعية أو السمعية البصرية، والوسائل الإلكترونية الحديثة (أجهزة الحاسوب وشبكة الانترنت).

التواصل

تقوم الحياة البشرية على العلاقات الإنسانية بما في ذلك العلاقات العاطفية والدينية والفكرية والسياسية والتجارية والعائلية والمهنية، كل ذلك قائم على التواصل، فالإنسان يتواصل يوميا مع أفراد العائلة ومع جميع الشرائح الاجتماعية، ومع من هو في حاجة إليه لظروف خاصة، أو عرضية أو دائمة.

فإذا كان التواصل يدخل في صميم الحياة البشرية منذ أن وجد الإنسان على الأرض، لذا أصبح محط اهتمام العلماء لأهميته القصوى في الحياة.

التواصل من المنظور اللساني

يرى الكثير من اللسانيين أن اللغة وظيفتها التواصل، لأنها نسق من العلامات والإشارات كما يراها "دو سوسير"، هدفها التواصل، وهو نفس المفهوم الذي كان يرمي إليه ابن جني في كتابه "الخصائص" عندما عرّف اللغة بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم).

دور المشافهة في تثبيت الكفاءة اللغوية وتعزيز القدرات العقلية للمتعلم

إن أولى المهارات وأهمها في استثمار اللغة هي المشافهة، وهي من أهم مدخلات العملية التعليمية والتعلمية، وفيها يتم التواصل ويتمكن المتعلم من هيكلة أفكاره وتكوين شخصيته وانطباع

أحاسيسه في مختلف وضعيات الحياة اليومية، لذلك فإن تعلم اللغة في التصورات اللسانية الحديثة لم يعد غاية في حد ذاتها، بل أصبح وسيلة استثمارية للقواعد اللغوية وخصائصها التركيبية ونظامها الصوتي والصرفي والدلالي في تداولها واستعمالاتها في وضعيات متباينة، وفي مواقف مختلفة مما يحقق أغراض ومقاصد التواصل.

إن الهدف الجوهري لتعليم اللغة العربية هو: " تزويد المتعلمين بكفاءة تمكنهم من توظيف ما تعلموه في وضعيات التواصل الشفهي والكتابي، ولم يعد المطلوب اليوم من تعليم اللغة العربية مقتصرا على معرفة النماذج الأدبية ولا معرفة القواعد النحوية والصرفية فحسب، بل جعل المتعلم يبلغ أعلى مستوى من الفهم والإدراك واستعمال المعرفة سواء على المستوى الشفهي أو الكتابي."[19] إنه التصور الذي ينسجم مع الطروحات اللسانية الحديثة التي ترى أنه لا قيمة لتعلم اللغة وتعليمها ما لم نعمل على تنمية كفاءات المتعلمين وتثبيتها عن طريق الحوار والتواصل الشفهي والكتابي على السواء.

إن أكثر ما يمكن أن يعرِف به الفرد نفسه قدرته على الحديث وتمكنه منه، بل يمكننا بواسطة حديثنا أن نترك انطباعا إيجابيا عن شخصيتنا، وقد نبه الخطيب المشهور (زج زجلر) إلى أهمية المشافهة ودورها الإيجابي في استثمار الملكات اللغوية وتجسيدها عمليا، يقول: " إننا سواء رضينا أم أبينا فإن الذين يحسنون الحديث والكلام أمام الناس يعتبرهم الآخرون أكثر ذكاء، وأن لديهم مهارات قيادية متميزة على غيرهم، وما من أحد أشهر ذكره وأخلد اسمه إلا له من مهارة الإلقاء والخطابة نصيب وافر".

تعتبر مهارة المشافهة في مفهوم اللسانيات مهارة مركزية كونها مخدومة من مهارة أخرى وهي مهارة السمع[20]، وهي التي نستطيع بواسطتها غرس الثقة بالنفس والقدرة على ترتيب الأفكار وتنظيمها في الذهن، وزيادة القدرة على استخدام الكلمات المعبرة واستخدام الصوت المعبر والنطق المتميز، واستخدام الحركات الجسمية والوقفة المناسبة، والقدرة على تكييف الكلام وتنظيمه وتوظيفه بحسب الموقف المطلوب[21]، وهي من أهم المحطات في القدرات الشخصية والمواهب لدى المتعلمين، ولها القدرة الفائقة في تثبيت الكفاءة اللغوية في الذهن إذا وجدت الرعاية والاهتمام من طرف المدربين، وذلك بحسن استخدام الطرائق التعليمية الحديثة التي تنص عليها اللسانيات الحديثة، إنها تجسد مجموعة من الأفعال الإنجازية التي تدرَّب عليها المتعلمون خلال مراحل تعليمهم.

إنها مفاتيح بها يلج المتعلم إلى فضاء العلم مصداقا لقوله تعالى: « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»[22]، بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الأدوات التي يتعلم بها الناس، وهي السمع والبصر والفؤاد بعد إخراجهم إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا ثم رزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات.[23]

الاستماع

حاسة السمع لما ذكرت في القرآن الكريم كانت في الرتبة الأولى في ترتيب الحواس الأخرى، جاء في قوله تعالى: « وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا »[24] وقوله جل شأنه « وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»[25]، فتقديم الاستماع في الآيات القرآنية يدل على أهميته لدى الإنسان فكان بذلك عاملا مهما في عملية الاتصال، وله دور تربوي مهم في عمليتي التعليم والتعلم وفي ترسيخ وتثبيت المهارة اللغوية في الذهن واستثمارها في عملية التواصل، فمختلف المحطات التي تستدعي التخاطب في العملية التعليمية ترتكز بصفة كبيرة على حسن استغلال مهارة الاستماع الجيد للمتعلم، والتي أخذت نصيبا وحظا وافرا في معظم برامج تعليم اللغات في الدول المتقدمة وكانت نتائجها مثمرة، فالاستماع هو الأداة الوحيدة التي تضبط عملية الكلام أداء ونطقا، وهو الوسيلة الأساسية في إدراك اللغة وترسيخ مهاراتها في عملية تعلمها، سواء كانت اللغة الأم أم لغة أجنبية[26]، وإنه عامل مهم وأساسي في النمو اللغوي لدى المتعلم، ومن هنا نعطي لهذه المهارة العناية الكافية في العملية التعليمية.

وهذا ما يجعل تعليم اللغة ينطلق من ثقافة المجتمع وأحواله ومقاصد المتكلم، والسياق والتفاعلات الكلامية والمحادثات المتبادلة بين المخاطبين، بحيث تتم تنمية الملكات التبليغية التواصلية لدى متعلمي اللغة، ومن ذلك أصبح للمتعلم دور هام في المشاركة الفعلية في العملية التعليمية، وتغيرت الإجراءات التعلمية واستبدلت الطرائق والأدوات، ولم تعد النظرة إلى التعلم على أنه مجرد وعاء وخزان تفرغ فيه المعارف من حين لآخر، أو قواعد تلقينية صماء تحفظ عن ظهر قلب، بل اعتباره عملية ذهنية تقوم على الفهم والاستيعاب، بحيث يَمنح للمتعلمين فرصا فيما بينهم للقيام بمحاولات إجرائية، وحل المشكلات ولعب الأدوار والتخلص من الجو الروتيني القاتل للمواهب إلى فضاء مليء بالحيوية والنشاط.

نتائج البحث

في ختام هذا العرض، نخلص إلى جملة من النتائج حول مفهوم العملية التعلمية ودورها في كيفية توظيف الطرائق التربوية الحديثة قصد ترسيخ الملكات اللغوية لدى المتعلمين، ومنها:

1- التخلص من التبعية البيداغوجية التي تقوم على التسلط والاستبداد بالرأي من طرف المرسل، والتي وسمت العملية التعلمية بالجمود، وعطلت مهارات المتعلمين.
2- التركيز على مشافهة المتعلم، وإعطائه حرية إبداء الرأي، لأنه قطب الرحى في العملية التعلمية، فمنه وإليه التعلم، وذلك بالتدريب المستمر، وبها ترسخ الملكة وتجود كما يراها ابن خلدون.
3- يجب الأخذ بعين الاعتبار أن متعلم القرن الواحد والعشرين لم يعد متلقيا بسيطا، يكتفي بالخطاب الوعظي، وإنما أصبح يعايش وسائط إلكترونية أكثر حداثة وتطورا.

مختصر البحث باللغة الإنجليزية

The educational bases of the linguistic proficiency access for learners

Introduction

The contemporary educational process seeks to form an individual mentally and consciously through the acquisition of a range of skills in multiple areas that make it able to develop, continue and confront.
Acquisition of language is one of these skills, but most important of all because they are used in a large scale, and is acquired through oral and continuous training, which entrench the language mastery and its quality as observed by Ibn Khaldun.

Problematic

Before entering the core of the subject we must show the problem of speech in the consolidation of language skill, and ways to install in the mental abilities of learners. The problem underlying this research is: - Is the educational system today in line with the evolutionary civilization in the field of knowledge? - How can learners gain the language mastery? - Can we, in the field of education, get rid of the dependence based on indoctrination alone, which marked the process of education stagnation, and the learner with recession and stagnation? - What are the latest successful methods of capacity building, self-esteem and

self-validation during the learning process? - Is the sender aware of the poles of the learning

process, and improved exploitation and investment? The researcher will try to answer these questions this research.

Key-words:

linguistic proficiency, educational bases, educational process.

Search elements

- Problematic search
-An introduction
- Procedural bases in the process of consolidating the language mastery
- The role of interlocutors in the stabilization of language competence and an in the enhancement of the mental abilities of the learner
- Listen
-Research results

Research results

1 - Get rid of the pedagogical dependence, which is based on authoritarianism and tyranny opinion by the sender, which marked the learning process stagnation, and disrupted the skills of learners.

2 - Focus on the learner, and give him the freedom to express his opinion, because it is the pole of the millstone in the learning process, from him to learn, and by continuous training, and by entrenching the language mastery and see as Ibn Khaldun sees.

3. It must be borne in mind that the learner of the twenty-first century is no longer a simple recipient, not only preaching discourse, but has become more modern and sophisticated in electronic media.

الهوامش والإحالات

– [1]مقدمة ابن خلدون تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 2004، ص421.

– [2]رشدي أحمد، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، إعدادها وتطويرها وتقويمها، القاهرة، دار الفكر العربي،1998، ص22.

– [3]أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، فعل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2000، ص142.

– [4]محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر،2000، ص03.

– [5]عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص08/07.

– [6] مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص416.

–[7]أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ط2،1983، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص24.

– [8]الايضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق د. مازن المبارك، ط4،1982، دار النفائس بيروت، ص66/65.

– [9]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، د.ط، د.ت، ص09.

– [10]محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، ط2، 1977، الدار العربية للكتاب تونس، ص244.

– [11]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص59.

– [12]تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006، ص187.

– [13]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص09 وما بعدها.

– [14]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص59.

– [15]هادي نهر، الكفاية التواصلية والاتصالية دراسة في اللغة والاعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003، ص 89.

– [16]أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، الطبعة 1، 1952، ص 151.

– [17]المرجع السابق، ص 25.

– [18]المرجع نفسه.

– [19]طه علي حسين الديلمي، سعاد عبد الكريم عباس، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، دار الشروق، رام الله، ط1، 2005، ص 138.

– [20]محمد الأوزاعي، اللسانيات وتعليم اللغة، مرجع سابق، ص177.

– [21]طه علي حسين الديلمي، سعاد عبد الكريم عباس، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، مرجع سابق.

– [22]سورة النحل، الآية 78.

– [23]ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ، 4 /337.

– [24]سورة الإسراء، الآية 36.

– [25]سورة المؤمنون، الآية 78.

[26]– محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص261.

المراجـع

1. ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ.
2. أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، ط4،1982، دار النفائس بيروت.
3. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، الطبعة 1، 1952.
4. أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، فعل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2000.
5. أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ط2،1983، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.
6. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006.
7. رشدي أحمد، الأسس العامة لمناهج تعليم اللغة العربية، إعدادها وتطويرها وتقويمها، القاهرة، دار الفكر العربي،1998.
8. طه علي حسين الديلمي، سعاد عبد الكريم عباس، اللغة العربية مناهجها وطرائق تدريسها، دار الشروق، رام الله، ط1، 2005.
9. عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، سلسلة المعرفة اللسانية، أبحاث ونماذج، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، د.ط، د.ت.
11. محمد التومي الشيباني، تطور النظريات والأفكار التربوية، ط2، 1977، الدار العربية للكتاب تونس.
12. محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، قصر الكتاب، البليدة، الجزائر،2000.
13. محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
14. مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، 2004.
15. هادي نهر، الكفاية التواصلية والاتصالية دراسة في اللغة والاعلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2003.